حملة الصارم إبراهيم بن المؤيد شيخ على بلاد قرمان سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م: (أسبابها -أحداثها -نتائجها)

إعداد

إبراهيم محمد حامد سليمان

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد كلية دار العلوم جامعة المنيا

ملخص البحث

تأتي هذه الدراسة كاشفة لملامح السياسة العامة للدولة المملوكية تجاه إمارة بني قرمان في منطقة آسيا الصغرى، وذلك من خلال دراسة الحملة العسكرية التي خرجت بقيادة الصارم إبراهيم بن الملك المؤيد شيخ عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م باتجاه هذه الإمارة لإخضاع أميرها المتمرد ناصر الدين محمد بن علي القرماني. والواقع رغم أن علاقة السلاطين المماليك بأمراء بني قرمان كان يسودها الود والصداقة في فترات عديدة، إلا أن تمرد هؤلاء الأمراء ومحاولة التخلص من النفوذ المملوكي كانت تواجه بكل صرامة وحزم من قبل سلاطين مصر. لذلك فإن هذه الحملة تكشف بوضوح حرص السلطة المملوكية على أن تظل هذه الإمارة خاضعة لها، نظرًا لأهميتها في منطقة الثغور الشامية، وفي الوقت نفسه سعيها لأن تقف بحزم أمام تطلع أمراء قرمان الراغبين في التوسع وإثارة القلاقل في هذه المنطقة الحيوية. وقد استمرت هذه الحملة تصول وتجول في منطقة آسيا الصغرى مدة تسعين يومًا، تمكنت خلالها من تحقيق نتائج سياسية واستراتيجية مهمة؛ فقد نجحت في التوغل في عمق أراضي أبناء قرمان وصولا إلى عاصمتهم قونية، كما أنها تمكنت من بسط سيطرتها على الركن الشمالي الشرقي من البحر المتوسط، وأخذ مدنه واحدة تلو الأخرى، ولم تترك بلد إلا وأقيمت فيه الخطبة للسلطان المؤيد شيخ المحمودي وضربت السكة باسمه. وقد أظهرت هذه الحملة المهارة والقدرات العسكرية المميزة للصارم إبراهيم، وهي خبرة اكتسبها- رغم صغر سنه- من خلال مشاركته ومرافقته لأبيه السلطان شيخ في حملاته السابقة ضد الإمارات التركمانية.

الكلمات الرئيسة:

بنو قرمان – التركمان – المماليك – الصارم إبراهيم – المؤيد شيخ

Abstract

This study comes to reveal the policy of the Mamluk state towards the Emirate of Karamanids in the Asia Minor region, through the study of the military campaign that came out under the leadership of Al-Sarem Ibrahim ibn Al-Malik Al-Mu'ayyad Sheikh in 822 AH / 1419 AD to subdue its rebellious Emir Nasir al-Din Muhammad bin Ali al-Karmani. In fact, although the relationship of the Mamluk sultans with the princes Karamanids was cordial and friendly in many periods, the rebellion of these princes and the attempt to get rid of the Mamluk influence was faced with strictness and firmness by the sultans of Egypt. Therefore, this campaign of Al-Sarem clearly reveals the keenness of the Mamluk authority to keep this emirate subject to it, because of its importance in securing its northern borders. In fact, this campaign continued in the Asia Minor region for a period of ninety days, during which it was able to achieve important political and strategic results: it succeeded in penetrating deep into the lands of the Karamanids, reaching their capital, Konya. It was also able to extend its control over the northeastern corner of the Mediterranean, taking its cities one after the other. This campaign demonstrated the skill and distinctive military capabilities of Al-Sarem Ibrahim, an experience he gained - despite his young age – through his participation with his father, Sultan Sheikh, in his previous campaigns against the Turkmen emirates.

Keywords:

Karamanids – Turkmen – Mamluks - Al-Sarem Ibrahim - Al-Mu'ayyad Sheikh

مقدمة:

استطاعت دولة سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) - بما حققته من انتصارات وإنجازات - أن تثبت أنها أعظم قوة في المحيط الإسلامي في ذلك الوقت؛ لذلك فقد نظر إليها حكام وشعوب الدول الإسلامية المعاصرة نظرة إكبار وإجلال، في حين نظرت إليها القوى الأخرى- خارج المحيط الإسلامي- نظرة خوف وتوجس واحترام في الوقت نفسه، وغدت القاهرة زمن المماليك قبلة الأصدقاء والأعداء على السواء؛ فالأصدقاء يطلبون تأييدها وينشدون مساعدتها، والأعداء يبغون ملاطفتها ومسالمتها، أو مهادنتها اتقاء لبطشها. وهو الأمر الذي أدى إلى وجود نشاط دبلوماسي ضخم في عصر سلاطين المماليك، وغدت القاهرة مركزًا لشبكة واسعة من العلاقات الخارجية.

وموضوع هذه الدراسة يهتم برصد الدور المملوكي في ضبط ميزان توازن القوى في آسيا الصغرى خلال الربع الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، متخذين من "حملة إبراهيم بن المؤيد شيخ المحمودي" محورًا لهذا الأمر. فمن المعروف أن القبائل التركمانية كانت قد استغلت فرصة عدم الاستقرار السياسي في منطقة الأناضول، والنزاع الذي نشأ بين السلاجقة والمغول للاستقلال والتوسع في آسيا الصغرى، وذلك بإقامة العديد من الإمارات والدويلات المستقلة. حقيقة الأمر كانت الدولة المملوكية منذ البداية حريصة على مد نفوذها وإحكام سيطرتها على الإمارات التركمانية، وهو أمر ينبع من الأهمية الاستراتيجية التي كانت تتمتع بها تلك الإمارات؛ فموقعها يمتد من أقصى أذربيجان وحتى أواسط آسيا الصغرى، مرورًا بأعالي الفرات وشمال بلاد الشام، وهذا يعني أنها تمثل المجال الحيوي لأمن واستقرار دولة سلاطين المماليك من الناحية السياسية والاقتصادية.

والواقع أنه من بين تلك الدويلات التركمانية العديدة الموجودة في منطقة الأناضول وآسيا الصغرى احتلت إمارة بني قرمان أهمية قصوى في السياسة المملوكية، وقد جاءت الإشارات المتكررة والدائمة عن تلك الإمارة وأحوالها في مصادر وحوليات العصر المملوكي كاشفة لهذه الأهمية. ورغم أن علاقة السلاطين المماليك بأمراء بني قرمان كان يسودها الود والصداقة في فترات عديدة، إلا أن تمرد هؤلاء الأمراء ومحاولة التخلص من النفوذ المملوكي كانت تواجه بكل صرامة وحزم من قبل سلاطين مصر. وعلى ذلك فدراسة حملة الصارم إبراهيم ضد بلاد قرمان- موضوع هذا البحث- تأتي كاشفة للأولوية والأهمية التي أولاها سلاطين المماليك لهذه المنطقة، وإقدامهم على اللجوء للحل العسكري عند إحساسهم بأي خطر أو تمرد يأتي من هذه الإمارة. وقد جاءت هذه الدراسة مشتملة على مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: الإمارات التركمانية في السياسة المملوكية

المبحث الثاني: حملة الصارم إبراهيم ٨٢٢هـ/١٤١٩م:

وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة عناصر:

- أولًا: أسباب الحملة
- ثانيًا: تجهيز وقيادة الحملة
- ثالثًا: خط سير الحملة وأحداثها
- رابعًا: مراسم استقبال الحملة المنتصرة

وجاءت الخاتمة في النهاية لترصد أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي استقيت منها المادة العلمية للبحث.

- **المبحث الأول: الإمارات التركمانية في السياسة المملوكية**

عاشت على الأطراف الشمالية لسلطنة المماليك جماعات وشعوب متنوعة مثل الأرمن والكرج والأكراد والتركمان، وهؤلاء جميعًا ربطتهم بسلطنة المماليك علاقات متقلبة بين الخضوع والتبعية حيناً والثورة والعدوان أحياناً أخرى، وذلك وفق ما تفتضيه الظروف والأحوال السياسية التي كانت تمر بها تلك القوى منذ منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي [١]. وعلى الرغم من مساهمة التركمان [٢] بنصيب بارز في جيوش الأيوبيين والمماليك، وذلك بعملهم كمرتزقة في تلك الجيوش، فإن التركمان نجحوا في أن يقيموا لأنفسهم العديد من الدويلات والإمارات [٣] على أطراف آسيا الصغرى [١].

---

[١] سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٢٦١.

[٢] يذكر المؤرخ بدر الدين العيني أن التركمان ينحدرون من قبيلة أغز التركية، وهم اثنان وعشرون بطنا، "لكل بطن منهم علامة وشمة على دوابهم وأوانيهم يعرف بها بعضهم بعضا"، وهم بدو رحل كانوا يقطنون الخيام. ويضيف العيني أن التركمان الذين استقروا في بلاد الروم والشام- على عهده- جاءوا إلى هذه المناطق صحبة السلطان السلجوقي ألب أرسلان. ومن البطون التركمانية التي سكنت ديار بكر: تركمان قرا محمد وبنو يحمر وبنو يغمر، أما الطوائف التركمانية التي استقرت ببلاد الروم فمنها: ورسخ وأولاد قرمان وأولاد حميدو وسليمان باشاه. كما أن هناك طائفتين استقرتا ببلاد الشام والأرمن، هما أوج أق وبزاق، ومنهم أولاد دلغادر. أنظر: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي"، (تحقيق) فهيم شلتوت، (راجعه) محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.، ص ٢٠، ٢٦.

[٣] أبرز هذه الإمارات التركمانية هي: * إمارة ومملكة أبناء قرمان، وقاعدتها أرمناك، كما أنها كانت تشتمل على العديد من المدن والبلدان المهمة مثل لارندة والعلايا. وتقع هذا المملكة شرقي بلاد الأرمن، وكان حاكمها يسيطر على ما يقارب أربع عشرة مدينة ومائة وخمسين قلعة، ويصل قوام جيشه إلى خمسين ألف جندي ما بين فرسان ورجالة. * إمارة أبناء جاندار، وقد حكمت في مدينة قسطموني. * إمارة أبناء صاروخان، وكانوا في المناطق الغربية من الأناضول بمحاذاة الحدود البيزنطية. * إمارة أبناء كرميان (كرميان)، التي قامت في غربي الأناضول ما بين اسكي شهر شمالا، وقرة حصار جنوبًا، وعاصمتها كوتاهية، وصاحب كرميان كان من أكثر ملوك الأتراك نفوذا وتسلطا على الجميع، وله ما يزيد عن مائتي ألف مقاتل. * إمارة أبناء منتشا، التي

وكان الحال يقتضي أن تكون هذه الدويلات "الإمارات التركمانية الحدودية" تابعة لسلطنة المماليك في مصر والشام، غير أن الواقع الفعلي يشير إلى أنها لم تظل على ولائها للمماليك على طول الخط، وإنما دأبت من حين لآخر على استغلال

=جاورت الحدود البيزنطية، وكانت قاعدة هذه الإمارة مدينة فوجة. كما أن حاكم هذه البلاد كان يسيطر على خمسين مدينة ومائتي قلعة وحصن، وعساكره يزيدون عن مائة ألف. * إمارة بني رمضان، التي حكمت أدنه وسيس واياس. * إمارة أبناء حميد الواقعة في جنوب غرب آسيا الصغرى، غرب إمارة قرمان وشرق منتشا وشمال إمارة تكة. * إمارة أبناء تكة، التي فرضت سيطرتها على أنطاليا وتوابعها. * إمارة أبناء قراسي في غرب الأناضول، التي كانت تطل على سواحل بحر مرمرة من جهة الشمال. * إمارة أبناء أشرف، وتقع شمال بلاد الروم إلى الغرب من إمارة جاندار وجنوب بلاد أبناء قرمان، وقد حكمت في آتشهر وسيدي شهري بكشهري، وكانت من القوة بمكان، حتى أن عدد جيوشها قد تجاوز السبعين ألف فارس. * وأخيرا إمارة أبناء آيدن، الواقعة بجوار الحدود البيزنطية المحاذية لبحر إيجة، وكان صاحب هذه الإمارة يسيطر على ما يزيد عن ستين مدينة وثلاثمائة قلعة. كما أن عساكره كانوا يتجاوزون السبعين ألف جندي، "ولهم مع الروم والفرنج وطوائف بني الأصفر حروب عظيمة". أنظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (أشرف على تحقيقها) كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ٢٤١/٣-٢٤٥، ٢٥٢-٢٥٥؛ ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ترجمة محمد صبحي فرزات، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٧٤م، ٤٢٠/٢، ٤٢٢، ٤٤٥-٤٤٦، ٤٦٤؛ يلماز اوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، (ترجمة) عدنان محمود سليمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠١٠م، ٣٠/١؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، (ترجمة) زكي حسن وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٢٥-٢٣٨.

(١) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ٢٦١.

أطلق المؤرخ ابن فضل الله العمري على منطقة آسيا الصغرى عدة مسميات مثل "بلاد الدروب" وبلاد الترك بالإضافة إلى بلاد الروم، ذاكرا أنها تشتمل على البلدان الواقعة بين بحري القرم، "وهو المسمى ببحر نيطش (البحر الأسود)"، وتنتهي جنوبا إلى بلاد الأرمن. ويصفها بأنها "بلاد متسعة، وهي مفرقة لملوك مجتمعة، وإنما هم لا يطلق عليهم إلا اسم الإمارة، ولا انتظام لكلمتهم، ولا اجتماع لجملتهم". أنظر: التعريف بالمصطلح الشريف، (تحقيق) محمد حسبن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٦٠-٦١.

الظروف للخروج على سلطنة المماليك بل ومهاجمة أراضيها، مما سبب لدولة المماليك كثيرًا من المتاعب على حدودها الشمالية؛ من ذلك ما يذكره المقريزي عن قيام التركمان بقيادة ناصر الدين محمد بن علي بن قرمان بالإغارة على مدينة طرابلس عام ٨٢١هـ/١٤١٨م، وقد اضطر نائب المدينة إلى الاستغاثة بنائب دمشق للتصدي لهذا الهجوم، فلما علم ابن قرمان بقدوم العسكر الشامي اضطر للفرار والعودة إلى بلاده [١]. وبمعنى آخر يمكننا القول إن أبناء قرمان قد تأرجحوا في ولائهم للقوى المجاورة؛ فنراهم في أحضان الدولة المملوكية طالما أن السلطان ينعم على أمير قرمان ويمنحه الإقطاعات، بينما كانوا يميلون للدخول في طاعة قوى أخرى معادية للمماليك في حالة وقوف السلطة المملوكية حائلا بينهم وبين تطلعاتهم في مد نفوذهم على المناطق المتاخمة لحدودهم [٢].

وينبغي التأكيد كذلك على أن تهديد الإمارات التركمانية الحدودية لدولة المماليك لم يظهر بقوة قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي؛ ومرجع ذلك أنه خلال هذا القرن كثرت القلاقل والفتن داخل دولة سلاطين المماليك، وبدا ضعف الدولة وعجزها عن الاحتفاظ بهيبتها والدفاع عن كيانها ضد الأخطار الخارجية التي هددتها، وفي مقدمتها هجمات تيمورلنك [٣] ضد بلاد الشام، التي

---

[١] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (تحقيق) محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ٤٧٣/٦.

[٢] سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ٢٦٣-٢٦٥؛ إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١١٦-١١٧.

[٣] ولد تيمورلنك (٧٣٧-٨٠٨هـ/١٣٣٦-١٤٠٥م) في قرية كيش قرب سمرقند. وهو ينتمي إلى سلالة جنكيز خان من ناحية الأم، واسمه تيمور أما "لنك" فمعناها الأعرج باللغة التركية، وقد أطلق عليه هذا اللقب نظرا لإصابته بسهم في فخذه في صغرة فسار يعرف بتيمور الأعرج. استطاع تيمور أن يخلع أمير خراسان وما وراء النهر، وتكوين امبراطورية شاسعة في هذ المنطقة، نجحت في إلحاق الهزيمة بالعثمانيين بقيادة السلطان بايزيد الصاعقة وأسره، كما أن جيش تيمور تمكن من إنزال الهزيمة بالمماليك في بلاد الشام، واضطر السلطان فرج بن برقوق للهروب وترك بلاد

ألحقت كثيرا من الاضرار والخسائر بهذه المناطق، وهو الأمر الذي جعل السلطة المملوكية متحفزة لتجهيز الحملات العسكرية، ووأد أي تحركات للإمارات التركمانية الحدودية [١].

وقد تزامنت شدة اضطرابات وقلاقل الإمارات الحدودية تجاه دولة المماليك مع تولي المؤيد شيخ لحكم دولة المماليك سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، عقب مقتل السلطان فرج بن برقوق [٢]، ثم اختيار الخليفة المستعين لتولي منصب السلطنة كإجراء

=الشام. هذا فضلا عن حالة الرخاء الاقتصادي التي كانت عليه دولته؛ إذ كانت بلاده طريق وممر رئيس للتجارة بين آسيا وأروبا، "فكانت تتجمع في خزائنه ثروة الممالك ينفقها كما يشاء". وقد توفي تيمورلنك سنة ٨٠٨ه/١٤٠٥م. أنظر: ابن عرب شاه، عجاب المقدور في أخبار تيمور، طبعة مصر، ١٨٨٧م، ص٣-٦؛ هارولد لامب، تيمورلنك، (ترجمة) عمر أبو النصر، المطبعة الوطنية، بيروت، ١٩٣٤م، ٩-١٠، ١١٥ وما بعدها.

[١] المقريزي، المصدر السابق، ٨٩/٦؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ٢٦١.

[٢] هو فرج بن برقوق بن أنص بن الظاهر الجركسي، مولده كان عام ٧٩١هـ، تولى الحكم عام ٨٠١هـ وعمره دون العشر سنوات، ويصفه السخاوي بكونه "سلطانا مهيبا فارسا كريما فتاكا ظالما جبارا منهمكا على الخمر واللذات طامعا في أموال الرعايا". كانت وفاة فرج على يد مماليكه عام ٨١٥هـ ودفن بدمشق. أنظر: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ١٦٨/٦. جدير بالذكر أن مقتل فرج بن برقوق يعود إلى ما سببه من فتن كثيرة في أنحاء الدولة وبخاصة في بلاد الشام؛ ففي عام ٨٠٩هـ ثار ضده جكم نائب حلب وأضفى على نفسه لقب سلطان وتلقب بالعادل، غير أن جكم قُتل بعد شهرين، مما أدى إلى ظهور تحالف بين نوروز نائب الشام والأمير شيخ نائب طرابلس وأعلنا الثورة على السلطان فرج في القاهرة، ليس هذا فحسب بل زحفا بقواتهما إلى مصر سنة ٨١٣هـ. ثم أخيرا لما خرج السلطان فرج إلى الشام لقمع هذا التمرد حلت بقواته هزيمة منكرة بالقرب من دمشق سنة ٨١٥هـ، وقبض الثائرون على السلطان وقتلوه قتلة شنيعة بعد ذلك. أنظر: ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م، ٢٢٥/٢-٢٣٠، ٢٦٥-٢٦٨، ٣٠٤-٣٠٩.

شكلي، وسرعان ما آلت الأمور لشيخ المحمودي- بعد ازاحته لنوروز- ثم قيامه بعزل الخليفة من السلطنة بعد عدة أشهر، والاستيلاء على دست السلطنة [١].

مهما يكن من أمر، فإن تلك الظروف والاضطرابات التي شهدتها دولة المماليك منحت "الإمارات الحدودية" التركمانية فرصة التفكير في الخروج عن التبعية للسلطنة المملوكية، والتي تمثلت أحيانا في الوقوف إلى جانب بعض الأمراء الخارجين على سلطة الملك المؤيد شيخ [٢]. لكن شيخ- الذي استشعر خطورة الأمر- سرعان ما تصدى لهذا الأمر، وقام بتوجيه حملتين عسكريتين للقضاء على هذا التمرد؛ فكانت الحملة الأولى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م والحملة الثانية عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م، وقد تمكن خلالهما من إخضاع بلاد بني قرمان لنفوذه، ولم يرحل عنها إلا بعدما "مهد البلاد التي استولى عليها وعمل مصالحها" [٣]. وتشير المصادر إلى أن استيلاء ابن قرمان على طرسوس [٤] من ابن رمضان، وامتناعه عن إرسال مفاتيحها للمؤيد شيخ كان هو السبب المباشر للحملة العسكرية التي خرجت عام

---

[١] كان من الطبيعي بعد أن قام شيخ المحمودي بعزل الخليفة وتبوأ منصب السلطنة أن يبدو خائنا في نظر منافسه الأمير نوروز؛ لذلك نرى هذا الأخير يرفض الاعتراف بسلطنة المؤيد، ويرفع راية العصيان. غير أن شيخ خرج إلى الشام وحارب نوروز وقتله، وأقر أوضاع الشام. أنظر: بدر الدين العيني، المصدر السابق، ص ٢٦٠، ٣٢٣-٣٢٦؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، (تحقيق) محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٣٣-١٣٧.

[٢] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (قدمه وعلق عليه) محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ١٣/١٦٠-١٦١.

[٣] المقريزي، المصدر السابق، ٦/٣٨٦-٣٨٧، ٤٤٠-٤٤٤؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ١٣/١٩٨-٢٠٢، ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، (تحقيق) حسن حبشي، الجزء الثالث، مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م، ٣/١٢٦-١٣٠.

[٤] طرسوس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وهي تقع بالقرب من أدنه، وتشتهر بإحاطة البساتين بها. وقيل إنها سميت باسم طرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ٤/٢٨-٢٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ٢١٩-٢٢٠.

٨٢٠ه/١٤١٧م، يؤكد ذلك قول المؤيد شيخ: "إنما سرت وتكلفت هذه الكلفة العظيمة لأجل طرسوس لا غير" [١].

في الحقيقة، رغم أن المصادر المعاصرة لم توضح متى كان استيلاء الأمير القرماني للمرة الثانية على طرسوس على وجه التحديد- منذ أن أشارت إلى استيلاء أحمد ابن رمضان أمير أدنه [٢] عليها عام ٨١٨ه/١٤١٦م بعد أن حاصرها سبعة أشهر، ثم قيامه بتسليمها لابنه إبراهيم "بعدما نهبها وسبى أهلها"، وأعاد ابن رمضان الخطبة فيها باسم السلطان المؤيد بعدما ظلت باسم تيمورلنك مدة اثنتي عشرة سنة [٣]- إلا تلك المصادر تذكر لنا الحملات التي أرسلها السلطان المؤيد شيخ باتجاه بلاد التركمان الحدودية وتسهب في سرد أحداثها؛ ففي أثناء هذه الحملة التي خرجت عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م نزل السلطان أولا بالعمق [٤]، وقدم عليه رسل عدد من أمراء

---

[١] المقريزي، المصدر السابق، ٤٣٩/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ١٩٩/١٣؛ ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ١٢٨/٣.

[٢] أدنه بلدة من الثغور تقع بالقرب من المصيصة، واشتهر منها جماعة من أهل العلم. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ١٣٣/١. أما موستراس فيذكر أن هذه المدينة تقع في منطقة الأناضول، على نهر سيحون، وتقع على بعد ٢٥ كم من البحر المتوسط، وهي مركز لولاية ولواء يحملان الاسم نفسه. أنظر: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، (ترجمة) عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣٧.

[٣] المقريزي، المصدر السابق، ٣٨٢/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ١٧٩/١٣.

[٤] المقريزي، المصدر السابق، ٤٣٥/٦، ٤٣٩؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ١٩٩/١٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (تحقيق) محمد مصطفى، الجزء الثاني (من سنة ٨١٥هـ إلى سنة ٨٧٢هـ)، فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٧٢م، ٣١/٢-٣٢.

يذكر ابن شاهين الظاهري أن العمق ليس بإقليم وإنما هو مكان متسع يشتمل على بعض القرى. أنظر: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، (اعتنى بنشره وتصحيحه) بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م، ص ٥٠. أما ياقوت فيقول إن العمق كورة بنواحي حلب بالشام، وإنه كان سابقا يتبع نواحي أنطاكية. أنظر: معجم البلدان، ١٥٦/٤.

الأتراك والتركمان والعرب المقيمين في هذه النواحي، إلا أن أبناء دلغادر تخلفوا عن الحضور، ولم يوفدوا رسولًا من جانبهم لمقابلة السلطان في مقر إقامته، مما جعله يفسر ذلك بأنه خروج عن الطاعة، فقرر تجريد حملة على بلادهم، وتقدم السلطان بنفسه إلى جهة مرعش التابعة للأمير علي بن دلغادر، ثم أوعز السلطان إلى جماعة من الأمراء- في مقدمتهم ابنه الأمير الصارم إبراهيم- بالمسير إلى أبلستين [١] للقبض على ناصر الدين بن دلغادر، فلما أحس هذا الأمير بالخطر، هرب من أبلستين، إلا أن العسكر المملوكي تمكنوا من اللحاق به وهو سائر بحريمه وأثقاله في شهر ربيع الآخر ٨٢٠هـ/١٤١٧م، فاستولوا على ما معه، بينما نجا هو بنفسه "على جرائد الخيل"، في حين وقع عدد كبير من رجاله في الأسر [٢].

على أية حال، أدرك ناصر الدين بعد هذه الهزيمة القاسية أن عودته إلى مقر إمارته أبلستين أصبحت معقدة للغاية، ولم يعد أمامه سوى التودد إلى السلطان المؤيد شيخ؛ فطلب العفو منه مقابل تسليمه قلعة درندة (لارندة)، فأجابه السلطان إلى طلبه، وحضر ناصر الدين بنفسه ومعه ولده وبعض خواصه، وسلم إلى السلطان مفاتيح تلك القلعة، فجدد له الإمارة على أبلستين، وجهز له نفقة وهدايا [٣]. أما الأمير علي بن دلغادر الذي رأى هو الآخر أنه لن يكون بمنأى من هذه الحملة فقد بعث إلى السلطان هدية وكتابًا لاسترضائه وتأكيد ولاءه له، ومن جانبه عمد السلطان "المؤيد شيخ، إلى التعبير عن حسن نواياه تجاه علي بن دلغادر، فبالإضافة إلى نيابته بمدينة

---

[١] تعد الأبلستين من أشهر مدن بلاد الروم، وقد تمكن سلاجقة الروم من الاستيلاء عليها وأصبحت من أملاكهم. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٧٥/١.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ٤٣٧/٦، ٤٣٩-٤٤١؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٠٠/١٣-٢٠١.

[٣] ابن حجر، المصدر السابق، ١٣٠/٣، ١٣٢؛ المقريزي، المصدر السابق، ٤٤١/٦-٤٤٢.

مرعش منحه كذلك نيابة الأبلستين، كما أنه أمر بإطلاق سراح ابنه حمزة الذي كان محتجزًا لديه؛ وجهز له راية حمراء ونفقة وطبلخاناه وأعاده إلى أبيه في مرعش [١].

ومن الملاحظ هنا أن حملة السلطان شيخ لم تقتصر على أبلستين ومرعش فقط، بل شملت عددًا من البلاد الخاضعة لنفوذ التركمان، ومن بينها قلعة بهسنا [٢]، التي كانت تحت حكم أمير يدعى طغرق من بني دلغادر [٣]، وقد كلف السلطان نائب الشام الأمير سيف الدين آقباي [٤]- باعتباره قائد العسكر المملوكي- بمكاتبة هذا الأمير التركماني، ودعوته للحضور إلى السلطان مثلما فعل بعض أفراد أسرته، فلم يسع الأمير طغرق إلا الإذعان لهذا الطلب، وجاء إلى السلطان بالقرب من حصن منصور وسلم إليه القلعة، فأحسن السلطان إليه وخلع عليه إلا إنه ولى على القلعة أميرًا آخر [٥]. وبالإضافة إلى أبلستين ومرعش وقلعة بهسنا، انتزع المماليك أيضًا

---

[١] المقريزي، المصدر السابق، ٤٤٢/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٠١/١٣-٢٠٢.

[٢] بهسنا قلعة حصينة تقع في شمال حلب وغرب عينتاب، على الرافد الأيمن لنهر الفرات، وبالقرب من مرعش وسميساط. وتتميز باتساعها واشتمالها على العديد من القرى. ويوجد بها بساتين ونهر صغير وأسواق، كما أن بها مسجدا جامعا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٥١٦/١؛ ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص٥١.

[٣] هو طغرق بن داود بن إبراهيم قراجا بن دلغادر، عمل نائب لحمص وملطية، ثم كان مقتله في وقعة له مع العربان في ذي القعدة سنة ٨٣٨ه، واستقر ابنه بعده في نيابة حمص. أنظر: العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث من ٨١٥-٨٢٤هـ، (تحقيق) عبد الرازق القرموط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٤٦٢؛ السخاوي، المصدر السابق، ٨/٤.

[٤] هو سيف الدين آقباي بن عبد الله المؤيدي، تولى نيابة حلب سنة ٨١٨هـ وظل بها لمدة عامين ثم انتقل إلى نيابة دمشق سنة ٨٢٠ه، وقتل في نفس السنة بقلعة دمشق بأمر السلطان شيخ. انظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ٤٦٨/٢-٤٧١.

[٥] العيني، المصدر السابق، ص ٢٩٢؛ ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٣٩١/٢-٣٩٢.

قلعة خرتبرت (خربوط) من التركمان أصحاب ناصر الدين بن دلغادر، وذلك في جمادي الأولى سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م [١].

ولعل السؤال المهم هنا هو: ما هي دوافع وأهداف السلطة المملوكية من وراء هذه الحملات ضد بلاد التركمان عامة وبلاد بني قرمان بصفة خاصة، على الرغم من أن هذه الإمارات التركمانية ليست ضمن النفوذ المملوكي من الناحية الفعلية؟ ولماذا كانت دولة المماليك حريصة على تجييش الجيوش وإرسال الحملات الحربية إلى هذه الإمارات رغم ما تتطلبه تلك الحملات العسكرية من أموال ونفقات، في وقت كانت تمر به السلطنة بتدهور نقدي وتراجع تجاري، وانهيار لنظام الإقطاع الزراعي/الحربي؟

تكمن الإجابة على تلك الأسئلة – كما يُفهم من بعض المصادر المعاصرة– في أن سلاطين دولة المماليك كانوا يعدون حكام الإمارات الحدودية التركمانية في آسيا الصغرى نوابًا عنهم، يحكمون بتفويض من السلطان المملوكي، رغم أن هذا الافتراض لم يكن مقبولًا دائمًا من القوى السياسية الأخرى [٢]. وعلى ذلك فقد نظرت السلطة المملوكية إلى أراضي التركمان باعتبارها جزءا من ممتلكاتهم وتابعة

---

[١] ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٣٩١/٢؛ إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص ١١٧.

[٢] في الواقع، كانت الإمارات التركمانية ذات طابع عشائري؛ فهي تدين بالولاء إلى رئيسها المباشر رئيس القبيلة أو من يقوم مقامه في اطار التجمعات العشائرية الأكبر، وهي وفقًا لذلك لا تميل إلى قبول أية سلطة مركزية عليها، بيد أن حرصها على الاحتفاظ بما كان في حوزتها من مدن وأراض، ورغبتها في توسيع مناطق نفوذها، وقيام صراع بين بعضها البعض في اطار التنافس على الأرض جعلها بحاجة لمساندة بعض القوى المحيطة بها، وكانت دولة المماليك من أكبر هذه القوى في ذلك الوقت، وكان هذا سبب إعلان معظم الإمارات التركمانية تبعيتها لها. أنظر: أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية: التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٨.

لدولتهم؛ فقد وجدنا المؤرخ الشهير ابن فضل الله العمري يشير إلى ذلك صراحة، حين أدخل قسم من الأراضي التابعة للإمارات التركمانية في الحدود الشمالية لأراضي سلطنة المماليك، كما أنه يشير إلى أن عددا من الأمراء التركمان- منذ أن غلبوا على بلاد الروم- كانوا يراسلون السلطة المملوكية من أجل الحصول على تقليد (منشور) "يكتب له بالنيابة فيما هو فيه" [١]. الأمر نفسه نجده عند المقريزي الذي يذكر أن صارم الدين إبراهيم بن قرمان نفسه أرسل عام ٨٣٠هـ/١٤٢٧م كتابا إلى السلطان المملوكي، يخبره فيه "برغبته في أن يدخل في الطاعة السلطانية وينتمي إلى أبوابها"، كما أنه تعهد بإقامة الخطبة في بلاده للسلطان وضرب السكة باسمه، مؤكدا أنه مستمر في كونه نائبا للسلطان ببلاد قرمان [٢]. هذا فضلا عن أن المقريزي أثناء حديثه عن ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر صاحب الأبلستين فإنه ينعته بكونه نائبا للسلطان المملوكي في تلك البلاد [٣]. من جانبه، ينص القلقشندي على هذا الأمر صراحة، ذاكرا أن بهسنا، وعينتاب [٤]، وكركر [٥] وقلعة المسلمين [٦] وغيرها من المناطق التركمانية الأخرى تدخل في

---

[١] ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢١٥/٣.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ١٥٨/٧.

[٣] نفسه.

[٤] عينتاب هي قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية، وكانت تعرف بدلوك، وفي العصر المملوكي كانت من أعمال حلب. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ١٧٦/٤؛ ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص ٥١.

[٥] تقع كركر على شط الفرات، وتتميز بحسنها وحصانة قلعتها التي ليس لها مثيل في منعتها، وتشتمل كركر على العديد من القرى. وكانت في العصر المملوكي من أعمال نيابة حلب. أنظر: ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص ٥١.

[٦] قلعة المسلمين من المدن المهمة التي تشتمل على قلعة "حصينة للغاية"، وهي تقع على شط الفرات وتشتمل على العديد من القرى، وكانت في العصر المملوكي تابعة لمعاملة حلب. أنظر: ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص ٥١.

نطاق الممتلكات المملوكية [١]. هذا فضلا عن أن جزءا من بلاد التركمان كان يدخل ضمن الأعمال الحلبية وهي بلاد ملطية [٢]، إياس [٣]، طرسوس، أدنه، سيس [٤]،

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م، ١١٩/٤-١٣٠.

[٢] تعد ملطية واحدة من أهم مدن الروم، وتشتمل على العديد من القرى والقلاع ولها سور محكم البناء. وتتميز ملطية بحسنها وكثرة المياه والفواكه بها. أصبحت المدينة جزءا من أملاك الدولة المملوكية على عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون. أنظر: ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص ٥٢.

[٣] تقع اياس في منطقة الأناضول على خليج الأسكندرونة، وهي تتبع ولاية ولواء أدنه. أنظر: موستراس، المرجع السابق، ص٣٦٧. جدير بالذكر أن أياس كانت هي الثغر والميناء الأكثر أهمية لأرمينية الصغرى على سواحل البحر المتوسط، وقد تعرضت هذه المدينة لهجمات عديدة من قبل الجيش المملوكي، ولعل أعنفها كانت على عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٧٣هـ/١٢٧٥م؛ حيث نهبت وأحرقت المدينة، وقتل كثير من أهلها. أنظر: المقريزي، المصدر السابق، ٩٠/٢.

[٤] تقع مدينة سيس في منطقة الأناضول على أحد روافد نهر جهان، وهي تتبع ولاية أدنه. أنظر: موستراس، المرجع السابق، ص٣١٣. ويذكرها ياقوت باسم سيسية، قائلا إنها تعد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس، وهي تعد قاعدة أرمينيا الصغرى ومسكن ملكها. وكانت على عهد المماليك تتبع نيابة حلب. أنظر: معجم البلدان، ٢٩٧/٣-٢٩٨؛ ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص ٥٠.

الرها، الإمارة الرمضانية، قيسارية [١]، خربوط "خرتبرت" [٢] وطرندة (درندة)، وغيرها من المدن الأخرى [٣].

بالإضافة إلى ما تقدم ذكره فإن المماليك كانوا كذلك يعدون القوات التركمانية جزءا من قواتهم العسكرية التي يمكن الاستعانة بها في أي وقت [٤]، يؤيد ذلك استمرارهم في إرسال قوات مملوكية في فصل الربيع من كل سنة للكشف على الطرق البرية في البلاد آنفة الذكر، وكانوا يجهزون أغربة مشحونة بالرجال والسلاح في البحر من أجل أن يتفقدوا تلك السواحل [٥].

---

[١] قيسارية أو قيصرية، هي مدينة كبيرة في بلاد الروم، " وهي كثيرة الأهل عظيمة العمارة". كانت مقرا لكرسي ملك بني سلجوق ملوك الروم. افتتحها معاوية بن أبي سفيان بعد أن قام بمحاصرتها لما يقارب السبع سنوات. وينسب إليها جماعة من أهل العلم والفضل. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٤/٤٢١-٤٢٢؛ القزويني، المصدر السابق، ص ٥٥٣-٥٥٤.

[٢] خرتبرت تسمى كذلك خربوت أو خربوط، وهي حصن أرمني يعرف بحصن زياد، وتقع في أقصى ديار بكر من بلاد الروم. بينها وبين ملطية مسيرة يومين ويقع بينهما الفرات. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٢/٣٥٥.

[٣] ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ٥٠-٥٢؛ المقريزي، المصدر السابق، ٣/٢٣٠، ٢٨١، ٥/١٥٧، ٧/٣٣٢، ٤٤٠.

[٤] صرحت المصادر بمشاركة القرمانيين بفرق من قواتهم إلى جانب الجيوش المملوكية التي توجهت حملات منها ضد أرمينية الصغرى، فعلى سبيل المثال في أحداث سنة ٧٣٨ه/١٣٣٨م يذكر المقريزي أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أرسل حملة لمهاجمة بلاد سيس عاصمة أرمينية الصغرى، وقبل وصول الجيش المملوكي "كانت التراكمين قد أغاروا على بلاد سيس، ومعهم عسكر ابن قرمان فتركوها أوحش من بطن حمار". أنظر: السلوك، ٣/٢٢٩. كما أن =المؤرخ نفسه يذكر أن السلطان المؤيد شيخ لما أرسل جيشا بقيادة الأمير أقباي نائب الشام والأمير جار قطلو نائب حماة إلى ملطية، للتصدي لنائبها المتمرد، ألحق معهم خمسمائة جندي من التركمان الأوشرية والأينالية. أنظر: المصدر السابق، ٦/٤٣٨.

[٥] ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص ٦٦.

مهما يكن من أمر، فإن حرص المماليك على أحكام سيطرتهم على الإمارات التركمانية ينبع من الأهمية الاستراتيجية التي تتمتع بها تلك الإمارات؛ فموقعها يمتد من أقصى أذربيجان وحتى أواسط آسيا الصغرى، مرورًا بأعالي الفرات وشمال بلاد الشام، وهذا يعني أنها تمثل المجال الحيوي لأمن دولة سلاطين المماليك من الناحية السياسية والاقتصادية. والواقع أن تلك الحقيقة لم تكن غائبة عن مؤلفات العصر المملوكي، فنجد شيخ مؤرخي عصر المماليك المقريزي يشير إلى أهمية الإمارات التركمانية الحدودية بقوله: "فإن التراكمين كانوا للدولة بمنزلة السور عليها، ويتحصل منهم في كل سنة عشرات آلاف من الغنم، يؤخذ منهم عن زكاة أغنامهم يقال له "العداد"، وينال أهل حلب منهم منافع لا تحصى، وإذا ندبهم السلطان لحرب بادروا إلى امتثال أمره، وعدوا ذلك طاعة وعبادة" [١]. جدير بالذكر في هذا السياق أنه عن طريق الإمارات التركمانية "الحدودية" كان يتحصل المماليك على الحديد والخشب والحنطة والشعير والخيل والبغال. كما أن تلك الإمارات كان يمر بها طريق تجارة الرقيق الذي يشكل العصب الرئيس للدولة [٢]. هذا فضلا عن أن بلاد التركمان كانت تعد المنفذ الرئيس الذي اعتاد أن يسلكه الغزاة المتوجهون لبلاد الشام [٣].

---

[١] السلوك، ٥٩/٥.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ١٠٦/٣؛ فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٩١.

[٣] مثل حملات هولاكو سنة ٦٥٧ هـ، وغازان أعوام ٦٩٩هـ و٧٠٢هـ، وتيمورلنك سنة ٨٠٣هـ. أنظر: المقريزي، المصدر السابق، ٣٨/٦-٣٩؛ فايد عاشور، المرجع السابق، ص ١٦٦-١٦٧؛ أنطوان ضومط، المرجع السابق، ص ٢٦؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكوخان)، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٧م، ص ٢٨٨ – ٣٠٢.

وبناء على ذلك فمن المؤكد أن هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء حرص المماليك على أن تكون جميع أراضي الإمارات التركمانية "الحدودية" جزءا من الأراضي المملوكية، وعدم السماح بوجود نفوذ آخر ينافسها تلك السيطرة، مع الحرص على عدم وجود خلل في توازن القوى بين هذه الإمارات، من أجل الحفاظ على الأمن السياسي والاقتصادي لدولة المماليك. ولتحقيق هذا الأمر كان سلاطين المماليك حريصين على كسب ولاء أمراء التركمان القائمين على حكم هذه الإمارات، ودعمهم بالقوة العسكرية كلما كان لذلك داع، طالما ظلوا خاضعين للسلطة المملوكية، أما في حالة الخروج عن دائرة نفوذهم، فقد كانوا يتصدون لهم بالقوة [١].

والواقع أنه من بين تلك الدويلات التركمانية العديدة الموجودة في منطقة الأناضول وآسيا الصغرى احتلت إمارة بني قرمان أهمية قصوى في السياسة المملوكية، وقد جاءت الإشارات المتكررة والدائمة عن تلك الإمارة وأحوالها في مصادر وحوليات العصر المملوكي كاشفة لهذا الأمر؛ فنجد ابن تغري بردي على سبيل المثال يحدثنا عن علو شأن وشرف بني قرمان، ذاكرا أنهم "من أصلاء الملوك كابرا عن كابر، أبا عن جد فصاعدا إلى السلطان علاء الدين". ثم يقول عن أصلهم إنهم من ذرية بايندر أحد أكابر أمراء جنكيز خان "ملك الترك الأعظم" [٢]. ويحدثنا القلقشندي عن قوتهم وشدة بأسهم قائلا: "وأولاد قرمان عصبة ذات أيد ويد وجيوش كثيرة العدد، وهم أصحاب الحروب التي ضعضعت الجبال، وأنتجت الحرب الحيال" [٣]. أما ابن فضل الله العمري فيذكر لنا عند حديثه عن مملكة أرمصال (بلاد العلايا الواقعة في أول بلاد الروم) أنها تتبع محمد بن قرمان، "وهو من أهل بيت توارثوا هذه البلاد، ولا يخاطب قائم منهم إلا بالإمارة". ثم نراه يمدح أخلاقهم وسلوكياتهم

---

[١] أنطوان ضومط، المرجع السابق، ص ٢٨٠.

[٢] النجوم الزاهرة، ١٦/٣٠٠.

[٣] صبح الأعشى، ٥/٣٦٥.

ورجاحة عقلهم قائلا: "وهؤلاء أولاد قرمان هم الذين لا يرتاب في رأيهم، ولا يظن في دينهم، فمهما ورد من جهتهم تلقي بالقبول، وحمل على أحسن المحامل" [١]. ثم يذكر لنا العمري- أثناء حديثه عن الأمراء الأتراك ببلاد الروم- ما يظهر بوضوح تلك الأهمية التي كانت تمثلها تلك الإمارة للماليك قائلا: "فأما ملوكنا فأجل من لديهم منهم جماعة بني قرمان، لقرب ديارهم وتواصل أخبارهم ... فمكاتبتنا إلى بني قرمان لا تكاد تنقطع، وأما إلى البقية (من أمراء التركمان) فأقل من القليل"، كما كان رسم المكاتبة إلى الأمير القرماني "بأكمل الألقاب وأكبرها وأجمعها وأكثرها" [٢].

جدير بالذكر أنه في عصر قوة المماليك (خاصة على عهد الناصر محمد قلاوون) عمد المماليك إلى التدخل المباشر في شؤون الأسرة القرمانية [٣]، وصار السلطان المملوكي حكمًا بين المتنازعين من أبناء الأسرة القرمانية [٤]. كما أعطوهم المراسيم التي تجيز لهذه الأسرة تملك البلاد، والتي بمقتضاها اعتبر القرمانيون أن الأراضي الواقعة غرب نهر جيهان، مثل طرسوس وما حولها من أملاكهم. هذا

---

[١] مسالك الأبصار، ٣/٢٣٤-٢٣٥، ٢٣٨.

[٢] التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٦١-٦٢.

[٣] ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٣/٢٤٠؛ القلقشندي، المصدر السابق، ٥/٣٦٥؛ المقريزي، المصدر السابق، ٣/٧-٨، ١٠٩، ٢١٦-٢١٧.

[٤] مثلما حدث بعد وفاة الأمير بخشي بك القرماني، حيث تولى الحكم إبراهيم بك الأول بن محمود بك القرماني، وذلك أثر نزاع قصير مع أخيه بهاء الدين موسى، الذي كانت له شهرة واسعة، حيث ذهب موسى للقاهرة طالبًا مناصرة الناصر محمد بن قلاوون له ضد أخيه إبراهيم الذي قام بتعيين أخيه خليل وليًا للعهد بدلًا من موسى، وقد نجح الأمير القرماني في الحصول على مرسوم سلطاني من الناصر محمد يقضي بحق موسى في تملك الأراضي التي يفتحها بحد السيف من أراضي الأرمن والأراضي الممتدة في الشمال الغربي حتى نهر جيحون شرقي أدنه. أنظر: ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ٣/٢٤٠؛ القلقشندي، المصدر السابق، ٥/٣٦٥.

فضلًا عن بسط نفوذهم على لارندة (درندة) [١] وأرمناك [٢] وبيشهير[٣] وقونية [٤] وغيرها من المدن الأخرى [٥]. مهما يكن من أمر، فبالرغم من أن هذه الخطوات قد أدت إلى تقوية الإمارات الحدودية التركمانية وتوسيع نطاق نفوذها، إلا أنه ينبغي الإقرار بأن المماليك كانوا بالفعل حريصين على أن تكون تلك الإمارات ذات شوكة قوية، وبغيتهم من وراء ذلك هو أن تكون ممتلكات بني قرمان بمثابة خط الدفاع الأول في مواجهة القوى المجاورة، لاسيما العثمانيون، الذين نمت قوتهم السياسية والعسكرية مع نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وبداية القرن التالي، وبدءوا يشكلون خطرا على الحدود المملوكية، وذلك من خلال مهاجمتهم لبعض الممتلكات التركمانية، وفي مقدمتها الإمارة القرمانية [٦].

---

[١] لارندة أو درندة ويقال لها كذلك قرمان نسبة إلى الإمارة، تقع إلى الشمال من أرمناك، وهي مدينة تشتمل على العديد من القرى وبها قلعة حصينة. وقد عرفت بكثرة مياهها وبساتينها. أنظر: ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص ٥١؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (ترجمة) بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٨٠.

[٢] أرمناك مدينة كبيرة تقع في الناحية الشرقية لبلاد الروم، وهي مبنية بالأحجار وليس لها سور. بها العديد من المساجد والأسواق والحمامات، كما أنها اشتملت على كثير من البساتين، وعرفت بفاكهتها المتنوعة والمميزة. وكانت في العصر المملوكي واحدة من المدن المهمة التي يسيطر عليها بنو قرمان. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٣٤٦/٥-٣٤٧.

[٣] بيشهير (بكشهري) هي مدينة تقع في منطقة الأناضول، في ولاية قره مان، وتتبع لواء قونية. أنظر: موستراس، المرجع السابق، ص١٦٧.

[٤] تعد قونية من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم، وكانت عاصمة سلاجقة الروم. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٤١٥/٤.

[٥] ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ٢٤٠/٣؛ القلقشندي، المصدر السابق، ٣٦٥/٥.

[6] Colin Imber, *The Ottoman Empire, 1300-1650 (The Structure of Power)*, Palgrave Macmillan, London, 2002, p. 13-14, 16, 19-20, 38; Julian Chrysostomides, "The Byzantine Empire from the eleventh to the fifteenth Century", in *The Cambridge History of Turkey*, Vol. 1 (Byzantium to

وقد تواكب مع موت السلطان الناصر محمد– وحالة الضعف الذي شهدته السلطنة في عهد أولاده وأحفاده– ارتفاع شأن الإمارة القرمانية وازدياد قوتها خاصة في عهد الأمير علاء الدين علي بك الملقب بأبي الفتح، الذي تولى الحكم في الفترة (٧٦٣–٨٠٠هـ/١٣٦١–١٣٩٧م)، لذلك سعى هذا الأمير إلى رسم سياسة مستقلة لإمارته، وذلك عبر محورين: أولا: محاولة بسط السيطرة على القوى السياسية المجاورة له في آسيا الصغرى (بما في ذلك الممتلكات العثمانية). ثانيا: السعي إلى خلع طاعة المماليك، والتخلص من تبعيتهم [١].

ولعل ما يهمنا في هذا السياق هو ما يخص علاقته بدولة المماليك والخطوات التي قام بها من أجل تحقيق مبتغاه؛ ففي إطار سعيه لخلع رداء التبعية وتقليص النفوذ المملوكي بآسيا الصغرى اتفق الأمير علاء الدين القرماني مع أبناء رمضان في الإغارة على التخوم الشمالية لدولة المماليك، وقيامهم "بقطع الطرقات ونهبهم حجاج

=Turkey), Edited by: Kate Fleet, Cambridge University Press, 2009, p. 43; Murat Cem Menguc, "Interpreting Ottoman Identity with the Historian Nesri", in *Living in the Ottoman Realm: Empire and Identity, 13th to 20th Centuries*, Edited by: Christine Isom-Verhaaren, Indiana University Press, Indiana, 2016, p. 67-68.

في هذا السياق يذكر القلقشندي أن السلطان العثماني بايزيد الأول (١٣٨٩–١٤٠٢م) أخذ في فرض نفوذه وهيمنته على أجزاء كبيرة من بلاد الروم فيما بين سيواس وانطاليا والعلايا بساحل البحر، حتى اقترب من أملاك بني قرمان. ثم تزوج السلطان العثماني من ابنة أحد أمراء بني قرمان واستولى على أراضيه، ودخل القرمانيون وسائر التركمان في طاعته، ولم يبق خارجا عن ملكه إلا سيواس التي كانت بيد قاضيها إبراهيم المتغلب عليها، بالإضافة إلى ملطية التي كانت جزءا من مملكة الديار المصرية. ولم يزل الأمر على ذلك حتى وقع الصدام بين بايزيد وتيمورلنك الذي تمكن من الحاق الهزيمة بالعثمانيين (في موقعة أنقرة) وقبض على بايزيد، "فبقي في يده حتى مات". أنظر: صبح الأعشى، ٣٦٨/٥.

[1] Colin Imber, *Op. cit*., p. 12-13; Rudi Lindner, "Anatolia, 1300-1451", in *The Cambridge History of Turkey*, Vol. 1 (Byzantium to Turkey), Edited by: Kate Fleet, Cambridge University Press, 2009, p. 114-115, 126.

الروم". ويبدو أن علاء الدين علي بن قرمان كان يهدف من وراء ذلك إلى إنهاء النفوذ المملوكي من بلاد بني رمضان وضمها إلى ممتلكاته. ولكن الظاهر برقوق وقف له بالمرصاد وأخرج حملة عسكرية موسعة، شارك فيها نواب البلاد الشامية ونواب الثغور وتركمان الطاعة وأكرادها، وقد نجحت هذه الحملة في مهاجمة سيس وتشتيت وتأديب جموع التركمان، فأدرك أبناء قرمان فشل مخططهم، وأن الدولة الملوكية قادرة على فرض سطوتها ونفوذها [١]. وظل القرمانيون يدينون بالولاء والتبعية طوال فترة حكم الظاهر برقوق، غير أن وفاة الظاهر وتولى ابنه فرج (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١٢م)- الذي أنهك البلاد والعباد" [٢]- جدد آمال أبناء قرمان بالاستيلاء على طرسوس التي كانت تتبع إداريًا المماليك، ثم أقاموا الخطبة

---

[١] المقريزي، المصدر السابق، ٥/١٥٧-١٥٩؛ ابن الصيرفي، المصدر السابق، ١/٨٢-٨٤.

[٢] يعبر المقريزي عن الاضطراب والفساد الذي ساد البلاد خلال فترة حكم فرج قائلا: "وطرق ديار مصر الغلاء من عام ٨٠٦هـ فبذل أمراء دولته (فرج) ومدبروها جهدهم في ارتفاع الأسعار، بخزنهم الغلال وبيعها بالسعر الكبير. ثم زيادة أجرة أطيان أراضي مصر حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأرض وأفسدوا مع ذلك النقود ... وأخذت على نواحي مصر مغارم تجبى من الفلاحين في كل سنة ... وأكثر وزرائه من رمي البضائع على التجار ونحوهم من الباعة بأغلى الأثمان واضطروهم إلى حمل ثمنها، فعظمت مغارمهم للرسل التي تستحثهم ولمستخرجي المال منهم مع الخسارة في أثمان ما طرح عليهم من البضائع ... هذا مع تواتر الفتن واستمرارهم بالشام ومصر، وتكرار سفره إلى البلاد الشامية، فما من سفره إليها إلا وينفق فيها خارجاً عما عنده من الخيول والسلاح وغير ذلك زيادة على ألف ألف دينار، يجبيها من دماء أهل مصر، ومهجهم ثم يقدم إلى الشام، فيخرب الديار ويستأصل الأموال، ويدمر القرى ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة وعادت أعظم ما كانت. فخربت الإسكندرية وبلاد البحيرة وأكثر الشرقية ومعظم الغربية والجيزة وتدمرت بلاد الفيوم وتلاشت بلاد الصعيد كلها، وخرب من القاهرة وظواهرها نصف أملاكها. ومات من أهل إقليم مصر بالجوع والوباء نحو ثلثي الناس، وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر...". أنظر: السلوك، ج٤ ص٢٢٦ – ٢٢٧. كما أن المؤرخ ابن تغري بردي- بالرغم من دفاعه الكثير عن الظاهر فرج- يقول عن أيامه: "ثم وقع فتن كثيرة بين الأمراء الظاهرية، وتداول ذلك بينهم سنين عدة، وأفنى بعضهم بعضا قتلا وحبسا. وخربت غالب بلاد مصر في تلك الايام واستمر ذلك وزاد". أنظر: مورد اللطافة، ص ١٢٣.

فيها باسم الأمير محمد بن علاء الدين القرماني وحده دون المماليك، وأتبعوا ذلك برفضهم "تقديم الخدمة" للجيوش المملوكية التي كانت تمر بأراضيهم- وهي التي كانت تمثل السمة الأبرز لتبعيتهم لسلاطين مصر- وبالغوا في استقلالهم حين عمدوا إلى إيواء الأمراء الفارين من دولة سلاطين المماليك بأراضيهم [١]، واستمروا في هذه الممارسات حتى سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م.

[١] ابن حجر، المصدر السابق، ٦٨/٣؛ المقريزي، المصدر السابق، ٨٤/٦-٨٥؛ ١٠٤، ١١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٢٤/١٢.

- **المبحث الثاني: حملة الصارم إبراهيم ٨٢٢هـ/١٤١٩م: أسبابها -أحداثها - نتائجها**

أولًا: أسبابها:

لعل الشيء الذي يمكن ملاحظته على حملات المماليك ضد بلاد ابن قرمان في عصر الجراكسة هو أن سببها الرئيس كان يدور حول فرض السيطرة على مدينة طرسوس، التي يرى المماليك أنها تتبعهم إداريًا، في حين يرى أبناء قرمان أن هذه المدينة جزء من أملاكهم، ومسوغهم القانوني في ذلك هو المرسوم السلطاني الذي أعطاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون للأمير بهاء الدين موسى القرماني، مفاده أن له جميع الأراضي الواقعة غرب "نهر جيهان"، وبما أن طرسوس تقع غرب هذا النهر فهي إذًا من ممتلكات القرمانيين وليس للمماليك حق فيها [١]. ولكن المماليك كانوا يفسرون ما فعله الناصر محمد في ضوء أن طرسوس من أملاكهم، وأن من يبسط سيطرته عليها من البديهي أن يكون تابعًا للنفوذ والسيادة المملوكية [٢].

مهما يكن من أمر، فإن النتائج والنجاحات التي حققتها الحملة التي أخرجها السلطان المؤيد شيخ باتجاه بلاد قرمان سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م لم تستمر طويلًا؛ فرغم أن الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان كان قد أرسل رسلا- منهم القاضي مصلح

---

[١] ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ٢٤٠/٣؛ القلقشندي، المصدر السابق، ٣٦٥/٥.

[٢] كانت طرسوس قد أعطاها تيمورلنك لأبناء رمضان المشمولين بحماية المماليك فاستغل الأمير القرماني الخلاف بين أولاد رمضان والسلطان المملوكي المؤيد شيخ واستولى عليها. أنظر: ابن حجر، المصدر السابق، ٥٥/٣، ١٧٣؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ١٧٩/١٣. وقد نبه المقريزي على ذلك حين قال في حوادث سنة ٨١٨هـ/١٤١٧م: "وقد كانت طرسوس من نحو اثنتي عشرة سنة يخطب بها تارة لتمرلنك وتارة لمحمد باك بن قرمان، فيقال السلطان الأعظم سلطان السلاطين، فأعاد ابن رمضان الخطبة فيها باسم السلطان الملك المؤيد". أنظر: السلوك، ٣٨٢/٦.

الدين قاضي عسكره- بهدية وكتاب في شهر ربيع الآخر إلى السلطان شيخ الذي كان نازلا بجهة العمق، يؤكد فيه أنه يدين للسلطان بالطاعة والولاء، "وأنه ضرب السكة المؤيدية ودعا للسلطان في الخطبة بجميع معاملته" [١]، إلا أن هذا الأمير القرماني حين تأكد من عودة السلطان المملوكي إلى القاهرة، وجد الفرصة سانحة للاستيلاء على مدينة طرسوس وضمها لممتلكاته، وقد ساعده في هذا الأمر حالة السخط والكره التي كان يضمرها السكان لنائب المدينة شاهين الايدكاري، بسبب تماديه في استغلال الرعية، ومن ثم قام الأهالي باستدعاء الأمير محمد القرماني لأخذ المدينة، وتخليصهم من فساد نائبها، وكان على الأمير القرماني أن يستغل هذه الظروف لصالحه [٢].

ومما جعل السلطة المملوكية تستشعر خطورة الأمر هو عدم اكتفاء محمد بن قرمان بطرسوس، بل واصل تقدمه واستولى على عدة مدن أخرى وهي : أدنه ولارندة وقيسارية [٣]. وبالإضافة إلى ما تقدم من أسباب فإن المماليك علموا تمام العلم أن توسع ابن قرمان مع تمرده، من شأنه إحداث خلل في توازن القوى في آسيا الصغرى، وهو أمر اجتهد المماليك كثيرا في المحافظة عليه، لحماية مصالحهم الاقتصادية، والاستراتيجية، ووجودهم السياسي.

---

[١] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ١٣/١٩٨-١٩٩، ابن حجر، المصدر السابق، ٣/١٢٨.

[٢] ابن حجر، المصدر السابق، ٣/١٧٢-١٧٣؛ المقريزي، المصدر السابق، ٦/٤٦٤، ٤٧٤، ٤٧٩؛ ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٢/٤٢٨؛ ابن إياس، المصدر السابق، ٢/٤٠.

في الواقع كان الأمير محمد بك القرماني ساخطًا على السلطان المملوكي المؤيد شيخ الذي استقبل الأمير علي بك القرماني بسبب الصراع بينهما على حكم الإمارة القرمانية، وتشير المصادر إلى أن =الأمير محمد بك قد منح أخاه مدينة نيكدة إقطاعا له مدى الحياة، ولكن الأخير لم يقنع بذلك وكان طامعًا بالإمارة، فهرب إلى القاهرة وطلب مساعدة السلطان، فاستقبله استقبالا حسنا، ووعده بمساعدته ضد أخيه محمد. ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٢/٤٣٦.

[٣] ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٢/٤٣٨-٤٣٩.

ثانيًا: تجهيز وقيادة الحملة:

كان طبيعيًا أن ينزعج المؤيد شيخ من التصرفات المتتالية لابن قرمان، ومن ثم رأى ضرورة تأديب هذا المتمرد، وإعادة نفوذ الدولة وسطوتها في آسيا الصغرى، فقرر ما يلي:

١- عزل الأمير المتمرد محمد بك القرماني وتعيين أخيه علي بك القرماني- اللاجئ في القاهرة- بدلًا عنه [١].

٢- إعداد حملة عسكرية كبيرة لإعادة الأمور إلى نصابها والقضاء على الأمير التركماني المتمرد، وأوكل قيادتها إلى ابنه الصارم إبراهيم [٢].

ولعله من المفيد في هذا السياق أن نُعرف بقائد الحملة في سطور قليلة بحسب ما ذكره المؤرخون؛ فهو إبراهيم بن شيخ، المقام الصارمي صارم الدين بن الملك المؤيد أبي النصر شيخ المحمودي الظاهري، ومولده بالبلاد الشامية في أوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وأمه أم ولد اسمها نوروز، ماتت قبل سلطنة والده. ولما تولى أبوه السلطنة سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م كان إبراهيم المذكور دون سن البلوغ. ويصفه المؤرخون بأنه كان ملكًا شابًا حسنًا، شجاعًا مقدامًا، كريمًا ساكنًا، وعنده أدب وحشمة ملوكية، خليقًا للسلطنة، وكان يميل إلى الخير والعدل والعفة في أموال الرعية، ومات مسموما في شهر جمادى الآخرة عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، وسنه عشرون ونيف [٣].

---

[١] ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٤٣٦/٢.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ٤٨٩/٦.

[٣] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٧٨/١-٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٠٢/١٣؛ السخاوي، المصدر السابق، ٥٣/١-٥٤.

جدير بالذكر أن الصارم إبراهيم كان قد خرج صحبة أبيه الملك المؤيد نحو البلاد الشامية وعاد صحبته أيضًا في الحملة التي توجهت نحو بلاد التركمان عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م. وكانت مهمته الكلف بها- صحبة الأمير جقمق الدوادار وجماعة من الأمراء- من قبل السلطان هو التوجه إلى الأبلستين لمهاجمة ناصر الدين محمد بن دلغادر. وقد نجح الصارم إبراهيم في مهمته وتمكن من إلقاء القبض على ابن دلغادر واستولى على جميع أثقاله وحريمه، وعاد إلى السلطان بالغنائم والأسرى [١]، وفي عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م كان الصارم إبراهيم هو قائد الحملة التي أرسلها السلطان الملك المؤيد لفتح البلاد القرمانية وتأديب صاحبها [٢]. وقد كان تحت قيادته عدة من أمراء الألوف والمماليك السلطانية، منهم الأمير قجقار القردمي[٣] أمير سلاح[٤]، والأمير ططر[٥]، أمير مجلس[٦]، والأمير جقمق الأرغوني شاوي[٧]، الدوادار

---

[١] المقريزي، المصدر السابق، ٦/٤٤٠-٤٤١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٣/١٩٦، ٢٠٠، ٢١٠؛ ابن حجر، المصدر السابق، ٣/١٢٦، ١٢٩؛ ابن اياس، المصدر السابق، ٢/٣٠.

[٢] ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٢/٤٣٦-٤٣٧.

[٣] هو قجقار بن عبد الله القردمي، نسبته إلى معتقه الأمير قردم الحسني، ثم التحق بخدمة الأمير شيخ المحمودي الذي كان نائبا لدمشق آنذاك، وأخذ يرقيه إلى أن أصبح أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، أسند إليه منصب أمير سلاح، ثم أصبح نائبا لحلب سنة ٨٢٠هـ. كانت وفاته عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م. أنظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٩/٣٢-٣٣.

[٤] وظيفة أمير سلاح يتولى صاحبها حمل السلاح للسلطان في المجامع الجامعة، وصاحبها هو المقدم على السلاح داريه من المماليك السلطانية، والمتحدث في السلاح خاناه السلطانية، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المقدمين. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٤/١٨.

[٥] هو سيف الدين أبو الفتح ططر بن عبد الله الظاهري برقوق، الذي تسلطن في التاسع والعشرين من شهر شعبان عام ٨٢٤هـ بعد خلع الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي. وكانت وفاة ططر في شهر ذي الحجة عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م. أنظر: المقريزي، المصدر السابق، ٧/٣٩-٤٠، ٤٤.

[٦] أمير مجلس، يتولى صاحب هذه الوظيفة أمور مجلس السلطان أو الأمير، وهو يتحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم، ولا يكون إلا واحدًا. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٤/١٨، ٥/٤٥٥.

[٧] هو جقمق بن عبد الله الأرغون شاوي الدوادار الكبير ثم نائب دمشق في عهد السلطان شيخ المحمودي، كانت وفاته سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م. عن ترجمته بالتفصيل أنظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٤/٢٧١-٢٧٤.

الكبير[١]، وغيرهم من أمراء الطبلخاناه [٢] والعشرات [٣]، هذا بالإضافة لنائب دمشق وجميع نواب البلاد الشامية [٤].

وفي يوم الاثنين الثامن عشر من شهر المحرم لسنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م ركب إبراهيم ابن السلطان في أول النهار صحبة أمراء الدولة والعساكر، وتبعه طلبه وطُلب الأمير جقمق الدوادار، حتى نزل بمخيمه من الريدانية خارج القاهرة. وخرج بعده الأمراء بأطلابهم، وهم ططر أمير مجلس، وقجقار القردمي أمير سلاح، وأينال الأرغزي رأس نوبة، وجلبان وأركماس الجلباني من مقدمي الألوف؛ وثلاثة عن أمراء الطبلخاناه، وخمسة عشر من أمراء العشرات، ومائتين من المماليك السلطانية. كما أن الأمير علي بن قرمان- الذي كان آنذاك ببلاط السلطان فارا من أخيه محمد- خرج صحبة هذا الجيش، وسيكون هو الوريث لأملاك القرمانيين عقب هذه الحملة. وظل الأمير إبراهيم بالريدانية حتى قدم إليه موكب أبيه السلطان المؤيد من قلعة الجبل، وبات معه هذه الليلة، وفي اليوم التالي قام السلطان بتوديعه وعاد إلى مقر

---

[١] وظيفة الدوادار الكبير يتولى صاحبها تبليغ الرسائل عن السلطان، وابلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، وتقديم البريد، وأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٩/٤.

[٢] الطبلخاناه: مرتبة عسكرية، يلي صاحبها أمير مائة مقدم ألف في الدرجة، وسمي طبلخاناه لأحقيته في ضرب الطبول على بابه، ويكون في خدمته ما بين ٤٠-٨٠ فارسا. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٥/٤، ١٩.

[٣] أمير عشرة: مرتبة عسكرية يكون في خدمة صاحبها عشرة فوارس ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ١٥/٤، ٢٧.

[٤] المقريزي، المصدر السابق، ٤٨٩/٦، ٤٩١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٢٦/١٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٧٩/١؛ ابن اياس، المصدر السابق، ٤٢/٢.

حكمه بالقلعة، ثم في يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم يمم العسكر وجهه تجاه بلاد الشام [١].

ثالثًا: خط سير الحملة وأحداثها:

يتضح من دراسة الحملة من ناحية إعدادها وتحركها وأحداثها أن خط سير العسكر المملوكي بدأ من قيسارية الروم وبعدها أركلى ثم لارندة، وهو الأمر الذي يؤكد على أن اهتمام تلك القوات الحربية في المقام الأول كان منصبا على منطقة الركن الشمالي الشرقي من البحر المتوسط أي أرمينية الصغرى، وهذه المنطقة يعدها المماليك اقطاعًا مهمًا من اقطاعاتهم، بما كانت تحتويه من مدن ذات أهمية كبيرة، وبالخصوص أدنه وطرسوس، ومن ثم فهذه البلاد كانت تعد "منطقة أمنية استراتيجية" في عرف المماليك، لذلك جاء حرصهم على استقرارها، من جهة أن يكون القائمون على الحكم في هذا الإقليم ممن يدينون بالولاء والتبعية لدولة سلاطين المماليك، أي أن هدف الحملة الرئيس –غالبًا– وفق فهمنا لخط سير الحوادث كان تأديب الثائرين وليس استئصال شأفتهم والقضاء على سلالتهم.

بدأت حوادث إحكام السيطرة على بلاد قرمان في يوم الجمعة الثاني والعشرين من محرم؛ ففي هذا اليوم رحل المقام الصارمي إلى جهة البلاد الشامية بمن معه [٢]. ووصلت الحملة دمشق يوم الاثنين سادس عشر صفر، وتلقى نواب الشام والعساكر قائد الحملة [٣]. وفي يوم الثلاثاء أول ربيع أول نزلت الحملة العسكرية منطقة تل السلطان ظاهر حلب، وقد خرج إليها نائب

---

[١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٢٦/١٣؛ ابن حجر، المصدر السابق، ١٨٩/٣.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ٤٩٠/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٢٦/١٣.

[٣] المقريزي، المصدر السابق، ٤٩١/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٢٦/١٣.

حلب بعساكرها، كما قدم عليه العربان والتركمان، ودخل قائد الحملة حلب في ثالث ربيع أول [١]. وبذلك يكون جميع المشاركين في الحملة من مصر وبلاد الشام قد اجتمعوا تحت إمرة قائدها، وبقي التحرك نحو بلاد المتمردين.

وقد كانت الخطة المملوكية قائمة على تقسيم الجيش إلى فرقتين، الأولى منهما- وهي تشكل الجزء الرئيس- كانت تحت قيادة الصارم إبراهيم نفسه، ومهمته تحقيق سطوة وقوة الدولة في عمق بلاد قرمان، بينما كانت الفرقة الثانية من الجيش تحت قيادة الأمير تنبك ميق العلائي[٢] نائب الشام، وكانت التعليمات العسكرية لهذا الفريق هي التحرك باتجاه قلاع أدنه والمصيصة وطرسوس لمهاجمتها والاستيلاء عليها. وكان يعمل تحت قيادة هذه الفرقة حمزة بن رمضان وغيره من التركمان، الذين لم يزد دورهم عن استرداد ما أخذه أبناء قرمان وتأمين الحدود الشمالية [٣].

مهما يكن من أمر، فقد كان بداية تحرك الحملة من بلاد الشام نحو تحقيق هدفها يوم الخميس الموافق التاسع من شهر ربيع الآخر؛ حيث رحل ابن السلطان من حلب، ودخل مدينة قيسارية الروم. فلما وصل إلى هذه المدينة قدم عليه أكابرها من القضاة والمشايخ والصوفية، فأحسن الصارم استقبالهم "وألبسهم الخلع"، ثم توجه الأمير إلى قلعة المدينة في يوم الجمعة، و"خطب في جوامعها للسلطان، وضربت

---

[١] المقريزي، المصدر السابق، ٤٩٢/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٢٦/١٣.

[٢] هو تنبك بن عبد الله العلائي الظاهري برقوق، الشهير بميق، كان من أكابر المماليك الظاهرية "ومن أشرارهم"، وتقلد العديد من الوظائف في عهد السلطان الناصر فرج، ولما تسلطن الملك المؤيد شيخ جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم رأس نوبة النوب، ثم أمير آخور، ثم تولى نيابة دمشق عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م. كانت وفاته سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م. أنظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ١٣/٤-١٦.

[٣] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣٢/١٣.

السكة باسمه". جدير بالذكر أن نائب قيسارية شيخ جلبي كان قد انسحب من المدينة قبل وصول العساكر المملوكية، ثم خلع الصارم إبراهيم بن المؤيد علي الأمير محمد بك بن قرمان، وأقره في نيابة السلطنة بقيسارية الروم. فلما وصلت تلك الأخبار إلى القاهرة "دقت البشائر بقلعة الجبل، وفرح السلطان بأخذ قيسارية، فإن هذا شيء لم يتفق لملك من ملوك الترك بمصر، سوى للظاهر بيبرس" (١).

ثم واصلت الحملة العسكرية بقيادة الصارم إبراهيم خط سيرها كي تحقق باقي أهدافها؛ فتوجهت من مدينة قيسارية إلى جهة قونية، وكان ذلك في الخامس عشر من شهر ربيع الآخر، وعلى ذلك فقد مكث إبراهيم بقيسارية أسبوعًا تقريبًا استطاع أن يمهد فيه أمور المدينة وأن يرتب أحوالها، ومن باب تخليد هذا النصر تم "نقش اسم السلطان المؤيد على بابها"، ثم قام الصارم بتسليمها إلى ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر (٢). ومن جهة ثانية، استطاعت القوة العسكرية المملوكية التي كان يقودها الأمير تنبك ميق نائب الشام تحقيق المهام الموكلة إليها، يقول المقريزي: "إن الأمير تنبك ميق نائب الشام، لما وصل إلى العمق، حضر إليه الأمير حمزة بن رمضان بجمائعه من التركمان، وتوجه معه إلى قرب المصيصة، وأخذ أدنة وطرسوس" (٣).

أما عن خط سير القوة الرئيسية من الحملة بقيادة الصارم إبراهيم فقد كانت وجهتها قونية عاصمة القرمانيين؛ إذ إن المهمة الموكلة إليها كانت مهاجمة أملاك أبناء قرمان نفسها؛ فوصل العسكر المملوكي في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر

---

(١) المقريزي، المصدر السابق، ٤٩٨/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٢٩/١٣.

(٢) ابن حجر، المصدر السابق، ١٨٩/٣-١٩٠؛ المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٠/٦؛ ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٤٣٨/٢؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٢/١٣.

(٣) المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٠/٦؛ أنظر كذلك: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٢/١٣.

إلى نكدة [١] إحدى مدن القرمانيين الرئيسة، والتي بينها وبين قيسارية ثلاثة أيام، فتم محاصرتها وقذفها بالمنجنيق سبعة وعشرين يومًا متواصلا، وأخيرا سقطت المدينة بأيدي الصارم إبراهيم في الرابع عشر من جمادى الأولى [٢]. وعن أحداث هذا الحصار يقول المقريزي: "وقدم الخبر بأن ابن السلطان وصل إلى نكدة في ثامن عشر شهر ربيع الآخر، فتلقاه أهلها، وقد عصت عليه قلعتها، فنزل عليها وحصرها، وركب عليها المنجنيق، وعمل النقابون فيها، وأن محمد بن قرمان تسحب من مدينة نكدة في مائة وعشرين فارسًا، هو وولده مصطفى" [٣]. وبعد أن سقطت القلعة أمر الصارم إبراهيم بالقبض على كل من في القلعة، وقيدهم وكان عددهم نحو مائة وثلاثة عشر رجلًا [٤]. ثم قام إبراهيم بتعيين على بك بن قرمان نائبا على هذه المدينة[٥].

استمرت الحملة في سيرها تواصل منجزاتها العسكرية، إذ لم تمكث في نكدة بعد سقوط قلعتها سوى يومين، وتابع العسكر المملوكي خطواته نحو مدينة لارندة في السادس عشر من جمادي الأولى [٦]، وخلال تقدم القوات المملوكية في الأراضي القرمانية وصلوا إلى مدينة أركلى في الجنوب الغربي لمدينة نكده، ودون مقاومة

---

[١] ويقال لها نيكدة ونكيدة أيضًا، بناها السلطان علاء الدين السلجوقي، "وهي مدينة لا صغيرة ولا كبيرة"، ويشقها النهر المسمى بالنهر الأسود، وعليه ثلاث قناطر، وعليه النواعير التي تسقي البساتين والفواكه، التي تنتشر بوفرة في المدينة. أنظر: كي لسترنج، المرجع السابق، ص١٨٣.

[٢] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٣/١٣.

[٣] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٢/٦.

[٤] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٢/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٣/١٣؛ ابن حجر، المصدر السابق، ١٩٧/٣.

[٥] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٤/٦.

[٦] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٤/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٣/١٣.

تذكر سقطت المدينة في ثامن عشر جمادى الأولى، وأصبحت خاضعة للسيادة والنفوذ المملوكي [١].

ويمكن أن نستدل من أحداث تلك المعارك على القدرات والمهارات العسكرية الكبيرة التي كان يتمتع بها القيادة والعساكر المملوكية، والقدرة على تطبيق الخطط الحربية الدقيقة التي كفلت لهم تحقيق النصر؛ فحين وصلت الحملة العسكرية أمام لارندة في الثامن والعشرين من جمادى الأولى، اتبع المماليك نظاما حربيا متكاملا، وذلك حين عملوا على تشتيت المجهود الحربي للجيوب التابعة لأبناء قرمان والمتناثرة على حدود الدولة؛ فقد أصدر الصارم إبراهيم أوامره للأمير يشبك اليوسفي نائب حلب بمهاجمة طائفة من التركمان المقيمين في المنطقة، وأخذ أغنامهم وجمالهم وخيولهم وموجودهم [٢]. ثم كلف الصارم قوات يقودها الأمير طط والأمير سودون القاضي نائب طرابلس، والأمير شاهين الزردكاش نائب حماة، والأمير مراد خجا نائب صفد والأمير أينال الأزعري والأمير جلبان رأس نوبة لمواجهة القوات الرئيسية لأبناء قرمان المتمردين، واستطاع العسكر المملوكي أن يلحق بهم هزيمة قاسية، بعد أن هجموا على محمد بن قرمان في جبال لارندة في السادس من جمادي الآخرة، فاضطر ابن قرمان للفرار، ونهب المماليك جميع ما في معسكره من خيل وجمال وأغنام وأثقال وقماش وأواني فضة وبلور [٣]. لقد طبقت القوات المملوكية مبدأ المفاجأة على المستوى الاستراتيجي بنقل ميدان المعركة إلى داخل الجيوب المتمردة، وتكتيكيًا بتقسيم القوات والمهمات، وهو الأمر الذي أصاب ابن قرمان بصدمة أعجزته عن اتخاذ التدابير الدفاعية اللازمة، كما أنه ساعد على تشتيت قوات

---

[١] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٤/٦.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٤/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٤/١٣.

[٣] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٤/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٤/١٣؛ السخاوي، المصدر السابق، ٢٠٢/٨؛ ابن اياس، المصدر السابق، ٤٨/٢.

المتمردين وتخلخل مواقع تمركزهم وقواتهم وقيادتهم وخططهم، مما أدى في نهاية الأمر إلى إلحاق الهزيمة بهؤلاء التركمان المتمردين.

ثم بعد تلك الانتصارات المتتالية التي حققها الصارم إبراهيم على محمد القرماني، ونجاحه في إخضاع التركمان لنفوذه، قرر أن يعين على مملكة قرمان علي بك القرماني بديلا عن أخيه المتمرد محمد، "وخطب في جميع تلك البلاد باسم الملك المؤيد وضربت السكة باسمه" [١]. من ناحية أخرى، كلف الصارم إبراهيم تنبك ميق نائب الشام بالذهاب إلى طرسوس لوأد أي تحرك من قبل الهارب محمد بن قرمان، وتتبع فلول العدو المتمرد المهزوم. ونجح تنبك في الدخول إلى طرسوس، وسار منها إلى أدنه، التي قام محمد بن قرمان وابنه مصطفى وحليفه إبراهيم بن رمضان بمهاجمتها، فاشتبك معهم نائب الشام في معركة انتهت بهزيمتهما، فتوجها إلى قيسارية التابعة لإمارة دلغادر، التي كانت تدين بالولاء للمماليك، فنصب لهم ناصر الدين بن دلغادر كميناً استطاع من خلاله أن يهزم المتمردين، وقتل مصطفى ابن قرمان، "وقبض على أبيه محمد بن قرمان فأُعتقل، وأرسلت رأس مصطفى إلى القاهرة فوصلت قبل وصول ابن السلطان" [٢].

وعلى ذلك، فقد ظلت حملة إبراهيم ابن السلطان المؤيد ببلاد قرمان قرابة الثلاثة أشهر تمكن خلالها من استرجاع النفوذ والسيادة المملوكية على أغلب الأراضي القرمانية، ثم اكتفى بما حققه من انتصارات وقرر- بأوامر من الملك المؤيد شيخ- العودة إلى حلب في أوائل شهر رجب ٨٢٢هـ/١٤١٩م، فلما وصل المدينة نزل بقلعتها، ثم أرسل إلى أبيه السلطان يستأذنه في الرجوع إلى الديار

---

[١] ابن حجر، المصدر السابق، ١٩٧/٣.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٧/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٦/١٣-٢٣٧؛ ابن حجر، المصدر السابق، ١٩٧/٣.

المصرية [١]. علما بأن السلطان شيخ كان قد أرسل إلى ابنه الصارم وهو بحلب مبلغا من المال قيمته ستة آلاف دينار ليفرقها على الأمراء، احتفاء بهم وتقديرا لهم على ما بذلوه من جهود خلال تلك الحملة المظفرة، كما أن السلطان أمر إبراهيم أن يقيم بحلب بعض الوقت لعمارة سورها [٢].

رابعًا: مراسم استقبال الحملة المنتصرة:

كان للانتصارات التي حققتها هذه الحملة العسكرية في آسيا الصغرى فرحة عارمة في القاهرة؛ ولما وصلت رأس مصطفى بن ناصر الدين محمد القرماني إلى القاهرة في السادس عشر من شهر رمضان طيف به في شوارع المدينة على رمح، ثم عُلقت على باب النصر[٣]. ويبدو أهمية ما حققته حملة الصارم إبراهيم من نتائج في موقف السلطان المؤيد، وخروجه لاستقبال ولده المنتصر خارج القاهرة؛ ففي السابع والعشرين من شهر رمضان ٨٢٢هـ/١٤١٩م، توجه السلطان إلى بركة الحجاج، ثم مضى إلى مدينة بلبيس، فقدم عليه الخبر بنزول المقام الصارمي بالصالحية، فتقدم الأمراء وأرباب الدولة فوافوه بالخطارة، فسلم إبراهيم على الجميع راكبًا إلى أن عاين القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي [٤] كاتب السر الشريف، فنزل عن فرسه وتعانقا، "لما يعلم من تمكنه عند أبيه"، ثم عاد الجميع إلى منزلة العكرشة والسلطان على فرسه، فنزل الأمراء القادمون صحبة الأمير إبراهيم، ثم

---

[١] ابن حجر، المصدر السابق، ١٩٧/٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٨٠/٣؛ ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٤٣٩/٢.

[٢] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٤/٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣٤/١٣.

[٣] المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٧/٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٧/١٣؛ ٢٩٢؛ السخاوي، المصدر السابق، ٢٠٢/٨؛ ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٤٣٩/٢.

[٤] هو محمد بن محمد بن عثمان البارزي الشافعي، ناصر الدين أبو المعالي، كان مولده بحماه في شوال عام ٧٦٩هـ/١٣٦٨م، ولاه الملك المؤيد كتابة السر بالقاهرة "فباشر الوظيفة بهمة وافرة ومهابة زائدة". وقد كان السلطان يقتدي برأيه وتدبيره، لذلك نال مكانة وحظوة كبيرة في الدولة، "وصار هو صاحب الحل والعقد وإليه مرجع غالب أحوال المملكة". كانت وفاته سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م. أنظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٧/١١-١٠.

نزل المقام الصارمي أيضًا عن فرسه وقبل الأرض، ثم قام ومشى حتى قبل الركاب الشريف، فبكى السلطان لفرحته بسلامة ابنه وبما حققه من انتصارات، "وبكى الناس لبكائه، فكانت ساعة عظيمة، ثم سارا بموكبيهما إلى خانقاه سرياقوس، وباتا بها ليلة الخميس تاسع عشرين، وركب السلطان في النيل، ورمى الطير بالبركة واصطاد، فقدم الخبر في الوقت بقدوم الأمير تنبك ميق العلائي نائب الشام، فوافى ضحى، وركب أيضًا في الموكب" (١).

ثم دخل السلطان إلى القاهرة من باب النصر، وقد زينت المدينة للمقام الصارمي، "والأمراء قد لبسوا التشاريف الجليلة، وأركبوا الخيول المسومة بقماش الذهب، والمقام الصارمي بتشريف عظيم"، ومن خلفه الأسرى التركمان- وعلى رأسهم نائب نكدة وثلاثة من أمراء بني قرمان- الذين أخذوا من قلعة نكدة، وهم حوالي مائتين رجل مقيدين بالسلاسل، وسار الموكب حتى وصل السلطان وولده إلى القلعة، "فكان يومًا مشهودا إلى الغاية لم ينله أحد من ملوك مصر، فلهجت الناس بأن الملك المؤيد قد تم سعده" (٢). ولعل أفضل خاتمة للحديث عن هذه الحملة وقائدها الشاب هي تلك الكلمات التي دونها المؤرخ ابن تغري بردي، واصفا لنا المكانة والحظوة الكبيرة التي نالها الأمير إبراهيم لدى عامة الشعب عقب هذا النصر المظفر، فيقول: "وأظهر (الصارم) في هذه السفرة من الشجاعة والإقدام والكرم والحشمة ما أذهل الناس، هذا مع حسن الشكالة، وطلاقة المحيا، والإحسان الزائد لمن يقصده ويتردد عليه، ولعمري إنه كان خليقا للسلطنة ولائقا للملك" (٣).

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣٧/١٣-٢٣٨؛ المقريزي، المصدر السابق، ٧٠٧/٦-٧٠٨؛ ابن حجر، المصدر السابق، ١٩٨/٣.

(٢) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٢٣٨/١٣؛ المقريزي، المصدر السابق، ٥٠٨/٦؛ ابن اياس، المصدر السابق، ٤٩/٢.

(٣) النجوم الزاهرة، ٣٠٢/١٣-٣٠٣.

نتائج الدراسة

- يتضح من خلال العرض السابق ملامح السياسة العامة للدولة المملوكية تجاه إمارة قرمان؛ إذ كانت تحرص كل الحرص على أن تظل هذه الإمارة خاضعة لها نظرًا لأهميتها في منطقة الثغور الشامية، وفي الوقت نفسه سعت أن تقف بحزم أمام تطلع أمراء قرمان في التوسع وإثارة القلاقل في هذه المنطقة الحيوية.
- غالبا ما كانت سياسة أمراء قرمان تجاه الدولة المملوكية تنحصر في رغبتهم في الظهور "شكليًا" بأنهم يدينون بالولاء والطاعة لسلاطين مصر، بينما كانوا يستغلون هذه العباءة لمد نفوذهم وفرض سيطرتهم على المناطق المجاورة، ولهذا كان من الطبيعي أن تتدخل السلطة المملوكية من وقت لآخر للقضاء على مثل هذه التطلعات، التي كان يراها حكام مصر أنها تخل بميزان القوى في المنطقة، وعلى ذلك فإنهم كانوا يسعون للإبقاء على الأمير القرماني الذي تتفق ميوله مع السياسة العامة للدولة المملوكية، وفي الوقت نفسه يقوم السلطان بإقصاء المتمردين. ولعل هذا الأمر قد اتضح جليا من خلال حملة الصارم إبراهيم، التي كان من أهم نتائجها إلقاء القبض على الأمير محمد المتمرد وتنصيب أخيه علي بدلا منه في حكم الإمارة القرمانية.
- اتسمت السياسة التي انتهجها الأمير ناصر الدين محمد القرماني تجاه المماليك بقصر النظر والتهور، ربما لم يكن يضع نصب عينيه ما ستجلبه عليه سياسته من مصائب، وتؤدي إلى إضعاف الإمارة القرمانية بدلًا عن زيادة قوتها ونفوذها، وأنه كان الأولى به أن يتخذ المماليك سندًا له في مواجهة العثمانيين، وأن يسير على السياسة التي كان سلفه يسيرون عليها، من حيث اعتمادهم على دعم المماليك في الصراع الذي كان بينهم وبين السلاجقة والمغول، ومحاولتهم التحالف مع القوى التركمانية المختلفة، وليس الدخول معهم في تنافس وصراع، كما فعل ناصر الدين محمد القرماني مع إمارة بني دلغادر.

- استمرت هذه الحملة تصول وتجول في منطقة آسيا الصغرى مدة تسعين يومًا، وقد تمخض عنها نتائج سياسية واستراتيجية مهمة؛ فقد نجحت الحملة في تحقيق هدفها المنشود، وهو التوغل في عمق أراضي أبناء قرمان وصولا إلى عاصمتهم قونية، وهذا شيء لم يسبق الصارم إبراهيم أحد فيه. وعلى الرغم من استعمال القوات القرمانية لبعض الخدع الحربية، وأشهرها التحصن بالممرات الجبلية الضيقة المشرفة على مدنهم وقراهم، إلا أن القوات المملوكية بقيادة الصارم إبراهيم تمكنت من اقتحام عمق آسيا الصغرى والسيطرة على الركن الشمالي الشرقي من البحر المتوسط، وأخذ مدنه واحدة تلو الأخرى، ولم تترك بلد إلا وأقيمت فيه الخطبة للسلطان المؤيد وضربت السكة باسمه.
- أسهمت هذه الحملة- بما حققته من نجاحات- في استعادة سلطنة المماليك لقوتها ولدورها المحوري في منطقة الأناضول وآسيا الصغرى، وهي مكانة كانت قد تعرضت لهزة عنيفة على عهد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق بعد هزيمته المنكرة التي تلقاها على يد تيمورلنك. لذلك كانت هذه الحملة تمثل نجاحًا سياسيا كبيرا للسلطان المؤيد شيخ على المستوى الخارجي يعوضه عن الفشل السياسي الكبير في الداخل، حيث كانت أحوال البلاد والعباد في تدهور مستمر، فحقق له هذا النصر شيئا من محبة وتقدير العامة.
- كانت هذه الحملة فرصة للصارم إبراهيم لإظهار مهاراته وقدراته العسكرية المميزة، وهي خبرة اكتسبها- رغم صغر سنه- من خلال مشاركته ومرافقته لأبيه السلطان شيخ في حملاته السابقة ضد الإمارات التركمانية. ولعل هذه الحملة المكللة بالنجاح أظهرت كذلك المكانة والحظوة الكبيرة التي نالها الأمير إبراهيم لدى عامة الشعب، وهو أمر أجمع على ذكره المؤرخون المعاصرون

ملحق ١

إمارة بني قرمان وأهم الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى

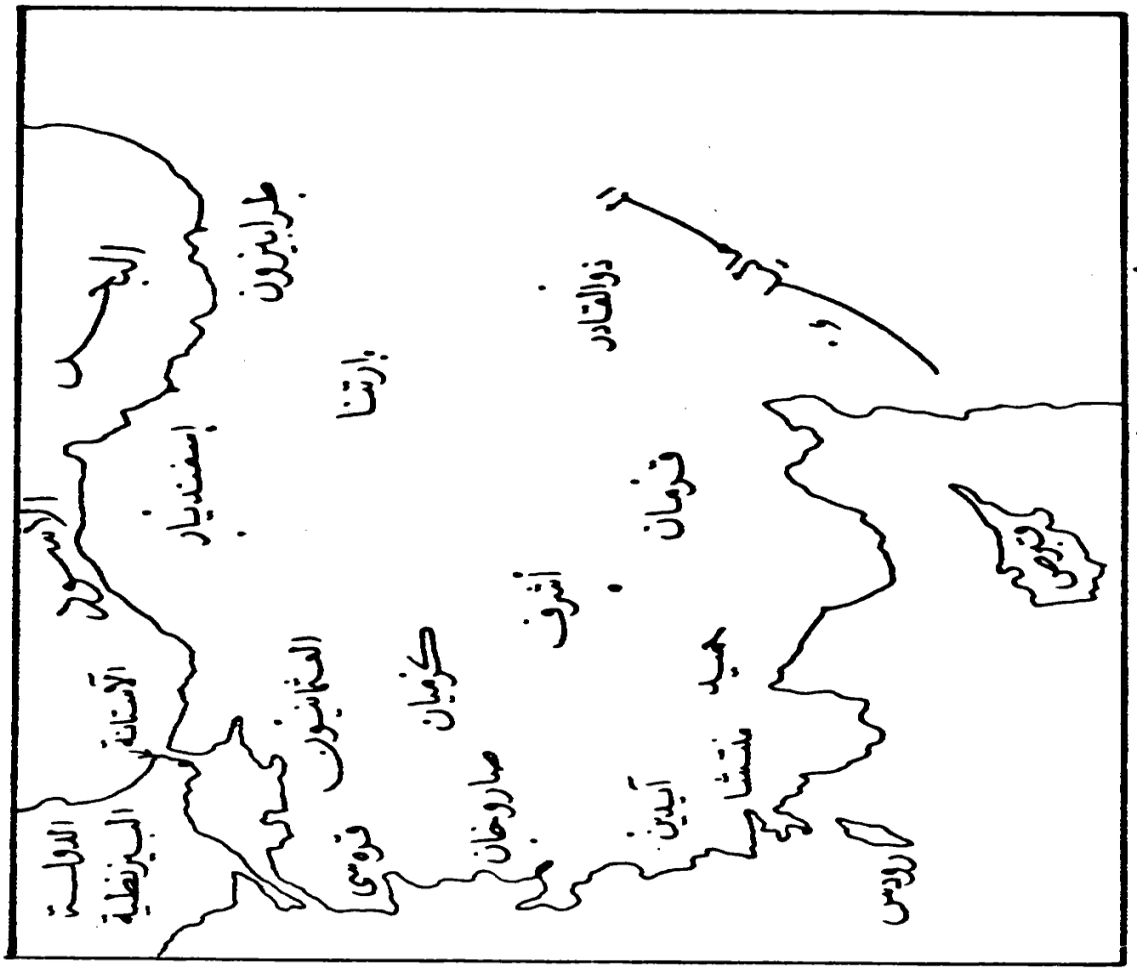

تقلا عن:

إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦م.

ملحق ٢

دولة المماليك في أقصى اتساعها

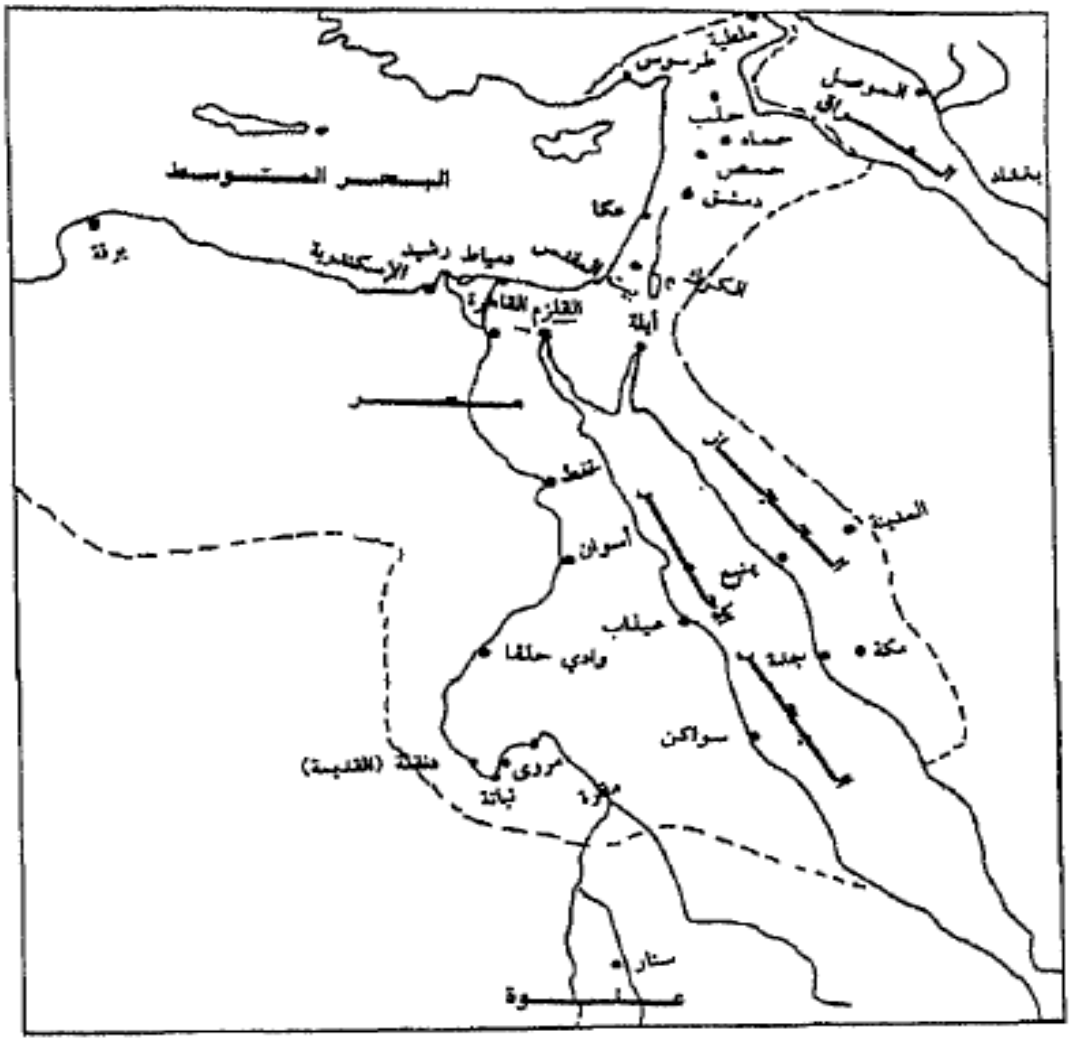

نقلا عن:

سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٧م.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية:

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي (ت. ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (تحقيق) محمد مصطفى، الجزء الثاني (من سنة ٨١٥هـ إلى سنة ٨٧٢هـ)، فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٩٧٢م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت. ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، (تحقيق) محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٨٤-٢٠٠٩م.

-----، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، (تحقيق) محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.

-----، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (قدمه وعلق عليه) محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت. ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، (تحقيق) حسن حبشي، الجزء الثالث، مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن بكر (ت. ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، (ت. ٨٧٢هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، (اعتنى بنشره وتصحيحه) بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت. ٩٠٠هـ)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م.

ابن عرب شاه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله (ت. ٨٥٤ه)، عجاب المقدور في أخبار تيمور، طبعة مصر، ١٨٨٧م.

العيني، بدر الدين محمود (ت. ٨٥٥هـ)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي"، (تحقيق) فهيم شلتوت، (راجعه) محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

-----، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث من ٨١٥- ٨٢٤هـ، (تحقيق) عبد الرازق القرموط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت. ٧٤٩هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، (تحقيق) محمد حسبن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

-----، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (أشرف على تحقيقها) كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

القزويني، زكريا ابن محمد (ت. ٦٨٢ه)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت. ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، (تحقيق) محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت. ٦٢٦هـــــ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٠م.

أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية: التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م.

زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، (ترجمة) زكي حسن وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠م.

ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، (ترجمة) محمد صبحي فرزات، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٧٤م.

سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

فؤاد عبد المعطي الصياد، الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكوخان)، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٧م.

كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، (ترجمة) بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، (ترجمة) عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.

هارولد لامب، تيمورلنك، (ترجمة) عمر أبو النصر، المطبعة الوطنية، بيروت، ١٩٣٤م.

يلماز اوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، (ترجمة) عدنان محمود سليمان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٠م.

ثالثا: المراجع الغربية:

Chrysostomides (Julian), "The Byzantine Empire from the eleventh to the fifteenth Century", in *The Cambridge History of Turkey*, Vol. 1 (Byzantium to Turkey), Edited by: Kate Fleet, Cambridge University Press, 2009, pp. 6-50.

Imber (Colin), *The Ottoman Empire, 1300-1650 (The Structure of Power)*, Palgrave Macmillan, London, 2002.

Lindner (Rudi), "Anatolia, 1300-1451", in *The Cambridge History of Turkey*, Vol. 1 (Byzantium to Turkey), Edited by: Kate Fleet, Cambridge University Press, 2009, pp. 102-137.

Menguc (Murat Cem), "Interpreting Ottoman Identity with the Historian Nesri", in *Living in the Ottoman Realm: Empire and Identity, 13th to 20th Centuries*, Edited by: Christine Isom-Verhaaren, Indiana University Press, Indiana, 2016, pp. 66-78.